

الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامى

غاية المرام في علم الكلام

لسيف الدين الأمدى

٥٥١ ٦٣١ هجرية

تحقيق

حسن محمود عبد اللطيف



تقديم

بقلم الأستاذ

محمد أبو الفضل إبراهيم - رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامى

من أشرف العلوم التى عاشت فى كنف الإسلام وترعرعت تحت ظلاله ، علم الكلام ؛ وسمى بذلك ، باعتبار أنَّ أشهر مسألة وقع فيها الاختلاف هى مسألة الجدل حول كلام الله . أو علم التوحيد باعتبار أنَّ أهم مقاصده هو توحيد الله فى ذاته وصفاته وأفعاله . ويعرّفه ابن خلدون ؛ بأنّه علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وهذا هو المطلب الأكبر ، والغاية العظمى من رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

جاء الرسول عليه السلام فدعا إلى الله وحده ، وأتى بشريعة سمحة ، تسير مع الفطرة السليمة ، وتبتعد عن التعقيد ، وتحارب الجمود والتقليد ، ويتآخى فيها العقل والدين . وجاء معه القرآن الكريم فنهج منهجا لم يكن معروفا من قبل ؛ ولكنه لقي فى أول أمره من أهل مكة صدا وإعراضا ، وصادف عنقا وتكديبا ؛ فجنح إلى الاستدلال ، وحاكمهم إلى الفكر والعقل والنظر ، وأخذهم بالمجادلة بالحسن ، ودعاهم إلى الاعتبار بالأمم السابقة ، ثم تركهم بعد ذلك أحراراً (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) . (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار) . (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) . (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) .

وكان المسلمون - والرسول عليه السلام بين ظهرانيهم - في غير حاجة إلى التعمق في فهم القرآن، أو الاجتهاد فيما يعرض لهم من أمور، فيستفتونه في كلِّ أحوالهم، وما يجدُّ لهم في حياتهم، وما يَدُور في أفكارهم، وما تجيش به عقولهم وحلُومهم، فيهديهم إلى سواء السبيل ويتقف بهم على المحجة الواضحة والجادة المستقيمة .

ولمَّا لحق عليه السلام بربه، وقضى الخليفة٩٢٨ من بعده، حدث ما حدث في عهد عثمان، وانتهى الأمر إلى قتله بغير حق، واهتزَّ منصب الخلافة . ثم كان ما كان في عهد علي ابن أبي طالب الخليفة الرابع، وانتهى الأمر بقتله أيضًا، فاضطرب الحبل، وانقسم الناس، وظهرت فرق الشَّيعة والخوارج، وكثرت الأحزاب السياسية وشاعت الفرقة بين المسلمين .

ولكن ذلك لم يقف في سبيل الدعوة الإسلامية، ولم يحلْ دون الجهاد والغزو، ولم يمض سوى قرن من الزمان حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، من الفرس والروم والسوريين والمصريين والإفريقيين، وتكوّن مجتمع إسلامي زاحر بألوان الثقافات؛ وكلهم يحمل عقيدة التوحيد، ويدين بدين الإسلام؛ ولكن كان لابد لهذا المجتمع أن يلتقي بموروث من الثقافة ورواسب من الديانات الأخرى. ثم كان القرن الثاني فترجمت كتب الأمم السابقة، وفيها كتب الفلسفة والمنطق والرياضيات، واختلطت بما كان معروفا من الثقافة عند المسلمين. وظهرت موجة من الاضطراب الفكري والاصطراع بين الآراء والمذاهب .

فكان لا بد من مواجهة هذه الموارد الفكرية والتيارات المذهبية، والآراء السياسية؛ ولابد من حماية العقيدة الإسلامية ومحاربة الفرق الضالَّة والمذاهب الإلحادية؛ فكان علم الكلام هو صخرة النجاة وسلم السلام والأمان، فاتَّسع نطاق هذا العلم وتنوعت موضوعاته، وتعددت طرقه ومناهجه؛ على مرِّ الزمن واختلاف الدول. وفي ضوء هذه المذاهب شاع الجدل والنقاش، وأقيمت المناظرات، واشترك في ذلك العلماء والخلفاء، والخاصة والعامة واختلط العلم بالسياسة، ووقع بين الناس الحق والباطل، وظهرت الفرق الناجية، والفرق الضالة المضلَّة .

وكان يواكب هذه الموجة الفكرية على اختلاف العصور فريق من العلماء ؛ من ذوى البحث والنظر ، ومن جهابذة الفكر والعقل ؛ منهم الحسن البصرى ، وواصل بن عطاء والنظام والجاحظ ، وأتى من بعدهم الباقلاني وأبو الحسن الأشعري والإسفرائيني والرازي والغزالي وإمام الحرمين وابن تيمية وغيرهم ممن جاء بعدهم ... اشتركوا جميعا فى الجدل ، ودخلوا حلبة المناظرة ، ومنهم من أنشأ المقالات وأثار المسائل ، ومنهم من جنح إلى التأليف والتصنيف ، وسجلوا آراءهم وآراء معارضيههم ؛ وتكوّن من هذا وذاك ثروة فكرية عريضة وتراث إسلامي واسع يعتبر من أنفس ما فى التراث العربى وأغلاه .

ولكن هذه الثروة الفكرية أصابها ما أصاب التراث العربى كله من عوادي الزمن واختلاف الأيام ، وما بقى منه أصبح موزعا بين الشرق والغرب ؛ ولم ينشر منه إلا القليل .

ومن الكتب النادرة التى سلمت من الضياع كتاب « غاية المرام فى علم الكلام » للمفكر المسلم أبى الحسن على بن أبى على الآمدى ، أحد أعيان الأشاعرة ، وناظورة العلماء فى عصره ؛ ضمنه شرح العقائد الإسلامية من وجهة أهل السنة والجماعة ؛ كما تعرّض لأقوال مخالفيهم . واستطرد إلى ذكر جميع المذاهب الكلامية وآراء أصحاب الفرق المختلفة ؛ قال فى صدر كتابه : «أودعته أبكار الأفكار ، وضمنته غوامض الأسرار ؛ منبها على مواضع زلل المحققين ، رافعا الأستار عن عورات المبطلين ، كاشفا لظلمات تهويلات الملحدّين على وجه لا يخرجّه زيادة التطويل إلى الملل ، ولا فرط الاختصار إلى النقص والخلل » . والنسخة التى عثر عليها الأستاذ حسن محمود عبد اللطيف من هذا الكتاب هى نسخة وحيدة لم يعثر على سواها ، على كثرة ما بحث ونقّب ، وهذه النسخة من نفائس المخطوطات بمكتبة شهيد على بإستانبول ؛ مما صوره معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وقد بذل الأستاذ المحقق جهده فى ضبط النص وتحريره وشرح مصطلحاته ؛ وعلق عليه بحواش ، قارن فيها بين أفكار المؤلف وأفكار غيره من مفكرى الإسلام على اختلاف

مذاهبهم وتنوع طرائقهم ... هذا بجانب ما التزم به من اتباع المنهج العلمى الأصيل فى التحقيق والتعليق .

وقد وافقت لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على نشره ، لتسدّ به ناحية هامة فيما تنشره من كتب التراث الإسلامى فى مختلف فروعہ . وحرصا منها على أن يأخذ هذا الكتاب الناجح مكانه الصحيح فى المكتبة العربية . وبالله التوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن في نشر كتب التراث العربي والإسلامي تأكيداً وترشيداً للنهضة الثقافية والحضارية التي أخذنا بأسبابها منذ القرن الماضي ، والتي تقطع الآن مرحلة من أهم مراحلها تبرز فيها قيمة الاعتماد على مالدينا من تراث أصيل ، والإفادة بما لدى الآخرين من فكر بناء رشيد .

كما أن فيه كسبا يضاف إلى رصيدنا العلمي ، بما يقدم للباحثين والعلماء من مادة جديدة ، يمكن أن تكشف عن حقائق مجهولة ، وحلقات مفقودة ، من تاريخنا الفكري الذي يمثل جانباً له خطره من التراث الإنساني العام .

ولعل الدراسات الكلامية من أكثر جوانب التراث الإسلامي أصالة وخطراً ؛ إذ هي قاعدته الأساسية ، وفلسفته الفكرية ، وأصوله العقديّة التي عنها تنبثق أكثر القيم والعادات الأخلاقية ، والنظم الاجتماعية والقانونية ، بل الاتجاهات الفنية والأدبية . ولكنها — مع ذلك — لم تحظ بعد بالعناية التي تستحقها ، ولم يتوفر عليها العدد الكافي من الباحثين الذين يقومون على تجديدها وخدمتها ؛ بنشر أصولها المخطوطة وتحقيقها ، وبعرض نظرياتها الهامة وتحليلها ، ثم بالتأريخ لها وبنقدها وتقويمها أيضاً على ضوء من أصول الإسلام نفسه والتقدم العلمي المعاصر .

ولقد هيا الله لي أن أتصل بهذه الدراسات ، وأن أتوفر بصفة خاصة على أحد أعلامها البارزين وهو العلامة سيف الدين الآمدي المفكر الأشعري الذي توفي سنة ٦٣١ هـ ، والذي عاش أكثر أمانه في ظلال دولة صلاح الدين وخلفائه من أمراء الأيوبيين ، وتنقل بين مصر والشام حيث درس في مدارسهما ، وحاضر في مجامعها وناظر ، وأصدر العديد من المؤلفات التي تعتبر ذات أهمية كبيرة في مجالات متعددة من الثقافة الإسلامية ، ولم يمت إلا بعد أن صار أكبر متكلم في عصره ، كما يشهد بذلك أحد تلاميذه وهو العز بن عبد السلام وأحد خصومه وهو ابن تيمية . ولا تزال دراستي لهذا المفكر الكبير مستمرة ، والكتاب الذي يتفضل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بنشره اليوم هو إحدى

ثمرات هذه الدراسة ، وقد قمت بتحقيقه باعتباره جزءاً من رسائلي للحصول على درجة «الماجستير» في الفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وكان الجزء الآخر دراسة عن الآمدى نفسه وآرائه الكلامية .

ويجمل بي أن أقدم لهذا الكتاب بكلمة عن المؤلف ، ثم عن مؤلفاته ومكان هذا الكتاب منها ، وأخيراً عن الأسلوب الذى اتبعته فى تحقيقه .

أولاً - المؤلف

اسمه ولقبه :

على بن أبى على بن محمد بن سالم طبقاً لما ذكره أكثر من ترجموا له (١) ، ولما دون على كتبه التى نسخت فى حياته ، ويلقب بسيف الدين أو السيف اختصاراً ، وبالآمدى نسبة إلى موطنه الأصلي ، وبالشافعى ، أو الحنبلى ثم الشافعى نسبة إلى مذهبه الفقهى ، ويلقب أيضاً بالثعلبى وهو لدى البعض الثعلبى ، والأولى أرجح نظراً لاتفاق أكثر المؤرخين عليها وخاصة أصحاب طبقات الشافعية وعلى رأسهم السبكي فى طبقاته (٢) ، ويكنى «أبا الحسن» وكناه بعضهم (٣) «أبا القاسم» .

مولده وموطنه :

ولد الآمدى سنة ٥٥١ هـ (٤) فى آمد وهى مدينة قديمة كان لها شأن فى الحروب بين الفرس والروم ، ثم بين الروم والعرب ، وفى حروب التتر والصليبيين ، وهى تقع فى أعلى منطقة الجزيرة شمالى العراق ويحيط بها نهر دجلة كما يصف ياقوت (٥) ، وتعرف مع ما يحيط بها بمنطقة ديار بكر ، وكانت آمد عند مولده تحت إمرة أحد رجال الأسرة الأرتقية ، وهى من فروع السلاجقة ، وقد ظلت تحكمها حتى قضى عليها الملك الكامل سنة ٦٣١ ، قبيل وفاة الآمدى (٦) .

نبذة عن حياته :

تلقى الآمدى دراساته الأولى فى بلده حيث حفظ القرآن وتعلم شيئاً من الفقه على مذهب الإمام أحمد وشيئاً من القراءات والعربية كغيره من أبناء عصره ، ولما أراد استكمال دراسته نزل إلى بغداد

(١) انظر مثلاً الوفيات ٤٥٥/٢ وطبقات الأطباء ١٧٤/٢ .

(٢) انظر الباب لابن الأثير وطبقات السبكي ٨٥/٤ ومختصره المعروف بالطبقات الوسطى . مصور بمعهد المخطوطات

ص ٦٩٧ .

(٣) هو أبو المظفر فى مرآة الزمان القسم الثانى من الجزء الثامن ص ٦٩١ .

(٤) انظر مثلاً تاريخ أبى الفدا ٤٠٦/٤ وحسن المحاضرة للسيوطى ٢٣٣/١ .

(٥) معجم البلدان ٥٦١/١ .

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٣/٦ .

وهو فتى يافع ، وكانت مقر الخلافة العباسية ، وقد غدت أشبه بسلطة اسمية منها بالفعالية ، وإن بقي لها جانب من نفوذها المعنوي ومجدها العلمي (١) ، وفيها استكمل دراسة القراءات على أحد شيوخها ، وقرأ الهداية في الفقه الحنبلي على أحد شيوخ المذهب ببغداد وهو ابن المنى - أبو الفتح نصر بن فتيان - المتوفى سنة ٥٨٣ (٢) ، ويقال إنه « أخذ عنه وأجاد عليه الجدل والمناظرة (٣) » كما اشتغل في الحديث على ابن شاتيل أحد أعلام الحديث ببغداد وروى عنه كتاب القاسم بن سلام في (غريب الحديث) (٤) .

وبعد فترة من إقامته ببغداد توثقت صلته بشيخ الشافعية فيها وهو جمال الدين أبو القاسم يحيى ابن الفضل المعروف بابن فضلان ، وكان حجة في الفقه الشافعي وفي علوم الجدل والمناظرة وأصول الفقه والكلام والمنطق ، مع ظرف ولطافة حسن ونزوع إلى الأدب (٥) ، ويعتبر ابن فضلان أبرز من عرفهم من شيوخه وأقواهم تأثيراً فيه ؛ فقد تفقه به في المذهب الشافعي وترك المذهب الحنبلي ، وأتقن عليه الجدل وبرع في النظر والحكمة كما يقول بعض مؤرخيه (٦) ، وهذه الجوانب التي عرف بها ابن فضلان هي التي ازدهرت في شخصية الآمدي وغلبت عليه إلى آخر حياته من فقه وأصول وكلام ومنطق ومناظرة .

وعندما أراد الآمدي أن يستكمل ثقافته العقلية اتصل بأحد النصارى المشتغلين بالفلسفة في ديرهم ببغداد وتلقى عليه دروساً فيها ، فثار عليه الفقهاء وقاطعوه ووقعوا في عقيدته (٧) وكان الجو ممسماً ضد الفلسفة ؛ ففي ذلك الوقت - أو بعده بقليل - أصدر « السهروردي صاحب العوارف » في بغداد كتابه « رشف النصائح الإيمانية وكشف القبائح اليونانية (٨) » مما حمل الآمدي على مغادرة بغداد متجهاً إلى الشام خائضاً غمرات المحنة الأولى في سلسلة الأزمات التي أصابته بسبب اشتغاله بالدراسات العقلية .

وفي الشام ، التي كانت تحت حكم صلاح الدين ، واصل دراساته الفلسفية في دمشق (٩) ، وفي حلب حيث التقى بالسهروردي قبل مقتله لقاء دل على اختلاف في المشرّب والاتجاه الفكري (١٠) ، ولعله زار حماة أيضاً .

(١) انظر البداية والنهاية ٢١٢/١٢ ، ٢٣١ .

(٢) انظر البداية والنهاية ٣٢٩/١٢ .

(٣) انظر أسماء الحكماء وتراجمهم للقفطي - مخطوط بدار الكتب لوحة ١٧٠ .

(٤) لسان الميزان ١٣٤/٣ .

(٥) البداية والنهاية ٢١/١٣ .

(٦) انظر طبقات ابن شعبة - مخطوط بدار الكتب بالقاهرة - ل ٧٤ ب .

(٧) اخبار الحكماء ٢٤٠ .

(٨) أنظر : غاية المرام . رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم بالقاهرة - الباب الأول ، الفصل الأول .

(٩) انظر الوفيات ٤٥٥/٢ وبروكلمان ٣٩٣/٢ . (١٠) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٦ .

وفي حوالى سنة ٥٩٢ هـ انتقل الآمدى إلى مصر ، وكانت تحت حكم العزيز بن صلاح الدين الذى ألف له الآمدى رسالة موجزة فى العقائد ، لم نعرث عليها بعد ، سماها « اللواء العزيز تذكرة الملك العزيز » ، حيث قضى نحواً من عشرين عاماً حافلة بالنشاط العلمى ، ونزل أول الأمر بمدرسة منازل العز بالفسطاط ، وعمل معيذا بالمدرسة الناصرية التى أقامها صلاح الدين للمذهب الأشعرى بجوار قبر الإمام الشافعى ، حتى آنس من نفسه النضج والكفاية فتصدر بمسجد الظافر — وهو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني بالغورية — وناظر بمصر وحاضر ، وأظهر تصانيفه فى علم الكلام وفى أصول الفقه وعلوم الأوائل ، وكثر المشتغلون عليه من الراغبين فى هذه العلوم (١) .

ويبدو أن ما ناله الآمدى من نجاح وشهرة أثار عليه حسد المنافسين من الفقهاء فاتهموه فى عقيدته وكتبوا « محضرا » للسلطان يبيح له دمه ، وجمعوا عليه بعض التوقيعات حتى انتهى الأمر إلى أحد العلماء المنصفين فوضع إلى جوار توقيعه البيت المعروف :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم (٢)

ففشلت المؤامرة قبل أن تبلغ هدفها ، ولكن الآمدى اضطر للخروج من القاهرة متخفياً والعودة إلى الشام مختتماً مرحلة من أخصب مراحل حياته الفكرية أنجز فيها جملة من أهم كتبه نذكر منها « دقائق الحقائق » فى المنطق ، و « أبكار الأفكار » فى علم الكلام .

وظهر الآمدى بعد ذلك فى حمة حيث استضافه أميرها العالم المنصور بن تقي الدين وأكرم وفادته وولاه التدريس فى المدرسة المنصورية ، وقضى الآمدى فى جواره فترة من أكثر فترات حياته استقراراً وطمأنينة ، وأصدر عدة مؤلفات يغلب عليها الطابع الفلسفى ، منها « المبين فى معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين » و « كشف التموهيات فى شرح الاشارات » .

ثم انتقل الآمدى بعد وفاة المنصور إلى دمشق بدعوة من سلطانها « المعظم » وكان يقدر الآمدى وإن لم يمل إليه قلبه ؛ وذلك لاتجاهه السلفى واشتغال الآمدى بالفلسفة ، ولكنه أنزله المكانة اللائقة به فى بيئة دمشق العلمية ، وولاه شئون المدرسة العززية فقام بها عشر سنين أو تزيد ، وكان قد بلغ أوج كفايته ؛ فتخرج به عدد من العلماء البارزين نذكر منهم العز بن عبد السلام سلطان العلماء فى مصر والشام ، وابن أبى أصيبعة ، وأبا شامة المؤرخين المشهورين ، وزاد اهتمامه بعلم أصول الفقه فأصدر فيه كتابين لهما أهمية كبرى فى تاريخ هذا العلم هما « الإحكام فى أصول الأحكام » و « منتهى السؤل فى علم الأصول » . وحافظ على عادته فى عقد مجالس المناظرة واختار لها جامع بنى أمية بدمشق فى كل ثلاثاء وجمعة وكان يحضرها — كما يقول مؤرخوه — أكابر العلماء للاستفادة (٣) .

(١) أخبار الحكماء ٢٤٠ ولسان الميزان ١٤٣/٣ . (٢) انظر وفيات الأعيان ٤٥٥/٢ .

(٣) انظر طبقات ابن الملقن — خ بدار الكتب المصرية — ل ١٧٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٣٠/٥ ، وعيون الأنباء ١٧٤/٢ .

وفاته :

وبعد كفاح طويل في خدمة العلم والدين منى الرجل بآخراً محنة وأشدّها ، بسبب نزعة العقلية ، ولظروف أخرى سياسية ، فحرم من منصبه العلمي ، وقضى الشهور الأخيرة من حياته لا يغادر بيته ، وإن لم يتوقف في خلال ذلك عن الاشتغال بالعلم كما يروى أحد خصومه وهو الذهبي (١) ، ولم يلبث أن أسلم الروح في رابع صفر من سنة ٦٣١ هـ ، ودفن في قاسيون ، ولكن كتبه وأفكاره انطلقت في الآفاق كما يقول القفطى : « مات وتصانيفه في الآفاق مرغوب فيها » (٢) .

صفاته وأخلاقه :

كان للظروف التي عاشها الآمدى والأزمات التي تعرض لها أثر فيما أشيع عنه من أقاويل ومناصب إليه من تهم ، وخاصة تلك المحنة الأخيرة التي دعت اثنين من قادة الحياة الفكرية في دمشق وهما ابن عربي شيخ الصوفية وابن الصلاح شيخ المحدثين — أن يعقبا على عزل الآمدى عن «العريزية» بأن أخذها منه أفضل من استرداد عكا من أيدي الصليبيين (٣) ، وقد تناقل بعض معاصريه ومن جاء بعدهم بعضاً من تلك التهم ، وقدر لي أن أناقشها مناقشة موضوعية في غير هذا المقام (٤) ، وأكتفي هنا بكلمة العز بن عبد السلام عن الآمدى : « لو ورد على الإسلام متزندق مشكك لما تعين لمناظرته غيره ؛ لاجتماع أهلية ذلك فيه (٥) » . وبكلمة ابن تيمية شيخ المدرسة السلفية — بعد أن أورد كلمة ابن الصلاح السابقة — : « . . . إن الآمدى لم يكن في وقته أكثر تبحراً في العلوم الكلامية والفلسفية منه ، وكان من أحسنهم إسلاماً وأمثلهم اعتقاداً » (٦) .

وقد قدم المؤرخون صورة رائعة للآمدى إنساناً ومفكراً ؛ فهم يجمعون على ذكائه المفرط حتى ليعده بعضهم « أذكى أهل زمانه » (٧) ويصفه آخرون بأنه « أحد أذكاء العالم (٨) » . ويتفقون على إمامته في العلوم العقلية فيقرر الذهبي — وهو أحد خصومه — أنه « لم يكن له نظير في الأصول والكلام والمنطق (٩) » . وكان « بهي الصورة فصيح الكلام . . . إذا نزل وألقى الدرس والفقهاء عنده يتعجب الناس من حسن كلامه في المناظرة والبحث (١٠) » حتى ليقول ابن عبد السلام « ما سمعت أحداً يلقى الدرس أحسن منه » (١١) . وكان — على ما كابده من فتن — رضى النفس سليم الصدر رقيق

(١) العبر في خبر من غير ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) أخبار الحكماء ٢٤٠ .

(٣) انظر نقض المنطق ص ١٥٦ .

(٤) انظر « غاية المرام في علم الكلام — تحقيق ودراسة » رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم — الفصل الثاني من الباب الأول .

(٥) نقض المنطق ١٥٦ .

(٦) طبقات السبكي ١٣٠/٥ .

(٧) انظر مثلاً السبكي في طبقاته ١٢٩/٥ .

(٨) عيون الأنباء ١٧٤/٢ .

(٩) عيون الأنباء ١٧٤/٢ .

(١٠) العبر ١٢٥/٥ .

(١١) طبقات الشافعية للسبكي ١٣٠/٥ ، ولابن الملقن ل ١٧٥ ب ، ١٧٦ أ .

القلب فيصفه أحد معاصريه بأنه « كان سريع الدمعة رقيق القلب سليم الصدر . . . » ويورد من وقائع حياته ما يدل على ذلك (١) . وكان معتدا بنفسه كما تشي بذلك كتبه ولكنه منصف مثبت لا يفتأ يردد : « هذا ما عندى ولعل عند غيرى غيره » (٢) .

حياته الخاصة :

أما عن حياته الخاصة فلا نكاد نعرف إلا ما أشار إليه ابن أب. أصيبعة — وهو أحد تلاميذه الذين كانوا يترددون عليه في بيته بدمشق — من أنه تزوج وأنجب ولدا يدعى « محمدا » ويلقب « جمال الدين » وقد روى لنا عنه عدة أبيات من شعر العلماء قالها الآمدى — في الأرجح — في مدح صديقه أمير حماة المنصور بن تقي الدين . وتدل رواية ابن أبى أصيبعة للقاء الأول بينه وبين الآمدى على تواضع ورقة وبساطة في الحياة وقصد من العيش (٣) .

ثانياً — مؤلفاته ومكانة غاية المرام منها :

أما مؤلفات الآمدى فهي تنسم جميعا بالطابع العقلى سواء كانت عقلية صرفه أم مزيجا من العقل والنقل ، وهى تشمل مجالات ثلاثة من الثقافة الإسلامية هى الفلسفة وأصول الفقه وعلم الكلام ، وتبلغ بضعة وعشرين كتابا تحتل مكانة بارزة في تاريخ تطور هذه العلوم .

وقد بينت في الدراسة المشار إليها سلفا ما طبع من هذه الكتب وهما اثنان : « الإحكام في أصول الأحكام » ، و « منتهى السؤل في علم الأصول » وكلاهما في أصول الفقه ، طبع أولها بمصر في أوائل هذا القرن وأعيد طبعه بها منذ سنوات دون تحقيق علمى في المرتين ، كما طبع ثانيهما بمصر أيضاً وكان مقررا للدراسة في الأزهر في الثلاثينيات من هذا القرن :

كما وصفت ما تيسر لى الاطلاع عليه من كتبه المخطوطة ، ومنها كتابان في الفلسفة هما : « المبين عن معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين » وهو كما يبدو من تسميته يتناول بالشرح مصطلحات أكثرها فلسفى ، و « كشف التوقيهات » وهو شرح لإشارات ابن سينا ، ويوجد أولها بظاهرة دمشق . والآخر في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . ومنها كتابان في علم الكلام وهما « أبكار الأفكار » ومختصره « غاية المرام » ويوجدان بمعهد المخطوطات كما توجد لأولها عدة نسخ بدار الكتب المصرية ومنها كتاب آخر مشترك بين علم الكلام والفلسفة وهو « المآخذ على الإمام الرازى » ألفه الآمدى اختصارا ونقدا لكتاب الإمام المعروف « المطالب العالمة » . كما تتبعت سائر كتبه مبينا أماكن وجودها من مكتبات العالم في الشرق والغرب ، وإن بقى القليل منها لم يعرف مكان وجوده حتى الآن (٤) .

(١) انظر مرآة الزمان لابن المظفر ج ٨ — القسم الثانى ، ص ٦٩١ .

(٢) انظر مثلاً الأبكار ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢١٤/٢ ب (٣) انظر عيون الأنباء ١٧٤/٢ .

(٤) انظر غاية المرام في علم الكلام — تحقيق ودراسة — رسالة ماجستير محفوظة بمكتبة كلية دار العلوم وجامعة القاهرة .

ويعتبر « الإحكام » أهم كتبه الأصولية وهو في الطبقة الأولى من المؤلفات في أصول الفقه الإسلامي ، وكان مختصره « منتهى السؤل » حظ كبير إذ غدا أصلاً لأكثر المؤلفات والشروح اللاحقة في هذا الفن منذ قام ابن الحاجب بتلخيصه في مختصره المعروف . أما أهم مؤلفاته الكلامية وأوسعها فهو « أبكار الأفكار » ويعد أحد المراجع الرئيسية في علم الكلام السني ، وقد اعتمد عليه من ألفوا بغده كالإيجي في المواقف (١) ، وقد اختصره الآمدي في « غاية المرام » ونص في مقدمة هذا الأخير على ذلك بقوله : « وضمنته أبكار الأفكار » ، وإن كان غاية المرام لا يقتصر على كونه مجرد تلخيص للأبكار كما سنوضحه . ويعتبر كشف التويهاً ودقائق الحقائق أهم مؤلفاته الفلسفية وإن كان أكبرها جميعاً « الباهر في علوم الأوائل والأواخر » . والآن ينبغي أن نفرّد غاية المرام بكلمة خاصة :

غاية المرام في علم الكلام - تسميته ونسبته إلى مؤلفه :

أشار إليه بهذه التسمية بين مؤلفات الآمدي ابن أبي أصيبعة « في عيون الأنباء (٢) » ، كما عده البغدادى في « هدية العارفين (٣) » ضمن مؤلفاته ونص على أنه مجلد ، مما يرجح أنه رآه في الآستانه ، خاصة أن النسخة الوحيدة التي أمكنت معرفتها - والحصول على صورة منها - لهذا الكتاب توجد في مكتبة « شهيد على » بها تحت رقم ١٦٩٤ علم كلام ، ومما يؤكد ذلك أننا نجد مواطنه حاجي خليفة يقول في « كشف الظنون » : « غاية المرام في علم الكلام للإمام سيف الدين أبي الحسن على ابن أبي على الآمدي المتوفى سنة ٦٣١ هـ ، أوله : الحمد لله الذي زلزل بما أظهر من صنعه . . . ، ذكر فيه أبكار الأفكار ، ورتبه على ثمانية قوانين (٤) » وهذه معلومات دقيقة لا نجد لها عند غيره ؛ مما يقطع برويته له .

كما أشار إليه ابن تيمية في كتابه « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » إذ يقول - بعد مناقشته لآراء الفرق في مسألة « الإرادة الإلهية » - : « . . . والمقصود هنا التنبيه على مجامع أقوال الطوائف الكبار وما فيها من التناقض ، وأن من عارض النصوص الإلهية إنما يعارضها بمثل هذا الكلام الذي هو نهاية أقدامهم وغاية مرامهم وهو نهاية عقولهم في دراية أصولهم . . . (٥) » ومن الواضح أنه يشير بهذا إلى كتاب « نهاية الأقدام » للشهرستاني ، وكتاب « غاية المرام » للآمدي وكتاب « نهاية العقول » للإمام الرازي ، وعناية ابن تيمية بالآمدي ومؤلفاته معروفة ؛ وقد ألف كتابه المشار إليه آنفاً لنقد مناهج المتكلمين بعامة وخاصة منهج الأشاعرة ، بالصورة التي انتهى إليها على يد الآمدي والرازي بصفة أخص .

(١) انظر شرح المواقف ٤/١ .

(٢) ١٧٥/٢ .

(٣) ٧٠٧/١ .

(٤) كشف الظنون ١١٩٣/٢ .

(٥) الموافقة - ط السنة المحمدية - ٢٠٧/١ .

ومما يزيدنا اطمئنانا إلى صحة هذه النسبة احتواء « غاية المرام » على آراء خاصة بالآمدى لم تنسب إلى سواه ، ولا توجد في كتبه الأخرى ، وذلك كتنجيزه - من الناحية النظرية البحتة - صدور المفعول القديم عن المريد المختار ، كما أشار إلى ذلك الملا عبد الرحمن الجاى فى كتابه « الدرة الفاخرة » واعتبره رأيا انفرد به الآمدى وكان الاتجاه السائد قبله أن الفاعل بالإيجاب لا يكون مفعوله إلا قديما كما هو رأى الفلاسفة ، وأن الفاعل بالاختيار لا يكون مفعوله إلا حادثا كما هو رأى المتكلمين ، فجاء الآمدى وقال إنه يمكن أن يصدر عن الفاعل المريد مفعول حادث ومفعول قديم ، ولا يلزم من كونه مريدا ضرورة كون مفعولاته جميعا حادثة (١) . وإن كان الآمدى نفسه يرى حدوث العالم كله ، ولكنه يقيم على ذلك دليلا مستقلا ولا يكتفى بمجرد صدوره عن الفاعل المختار (٢) .

ولعل فى هذا - مع ما سنذكره عن مضمون الكتاب وطبيعة علاقته بأبكار الأفكار وهو أحد الكتب المقطوع بنسبتها إلى الآمدى - ما يؤكد تلك النسبة التى لم تتعرض ، فيما نعلم ، لمن ينفيها أو يشكك فيها .

ويبدو أن الآمدى قد استعار اسم هذا الكتاب من والد الإمام الرازى خطيب الرى المشهور الذى ألف كتابا بهذا العنوان قال عنه السبكى فى طبقاته : « . . . من أنفس كتب أهل السنة وأشدّها تحقيقا - ووصف مؤلفه بأنه - كان فصيح اللسان قوى الجنان فقيها أصوليا متكلماً (٣) » ، كما ذكر ابن أبى أصيبعة أنه توفى سنة ٥٥٩ هـ (٤) . والآمدى لا يجد بأسا باستعارة أسماء كتبه عن سبقه ؛ فهو يتفق تماما مع ابن حزم فى عنوان كتابيهما الكبيرين فى أصول الفقه : « الإحكام فى أصول الأحكام » مما يرجح متابعتة له ، ولعله سلك نفس المسلك فى كتب أخرى . هذا وتوجد كتب متأخرة عن الآمدى تحمل اسم « غاية المرام » فى علم الكلام وفى غيره ، ولكن لا علاقة لها بكتابنا هذا .

علاقة غاية المرام بأبكار الأفكار :

يظهر لكل من يقرأ الكتابين أنهما لمؤلف واحد نظرا لوحدة الروح ، وتشابه الأفكار وطريقة إيرادها فى كل من الكتابين ، ولاتحاد العبارات والأساليب فى مواطن كثيرة ، وقد نهت فى تعليقاتى على « غاية المرام » على بعض هذه المواضع ، ويلمس القارئ بوضوح أن كتابنا هذا

(١) انظر الدرة الفاخرة - مطبوع بمصر مع تأسيس التقديس للرازى - ص ٢٧٧ .

(٢) انظر غاية المرام ل ١١٠ ب وما بعدها .

(٣) انظر غاية المرام : رسالة ماجستير بدار العلوم - القسم الأول ص ٧٧ . (٤) عيون الأنباء ٣٥/٢ .

مختصر للأبكار كما نص مؤلفه في مقدمته : « وأودعته أبكار الأفكار (١) » ، وكما يشير إلى ذلك كلام صاحب « كشف الظنون » الذي أوردناه آنفا ، ولكنني أنه هنا على مواضع خاصة لها أهميتها ومغزاها :

١ - فمنها كلام الآمدى في كتابنا هذا عن التسلسل ونقده للأدلة التي أقامها الفلاسفة والمتكلمون على بطلانه (وذلك في ل ٣ ب وما بعدها) فإننا إذا قارنا ذلك بحديثه عن المسألة نفسها في « أبكار الأفكار » (اللوحات ١٤٢/١ - ٤٣ ب) وبما نقله ابن تيمية عن الآمدى في كتابه « الموافقة » الذي سبقت الإشارة إليه (الصفحات ٢٣٨/٢ - ٢٤٠ من طبعة السنة المحمدية بالقاهرة) لم نجد فارقا بين الكتب الثلاثة إلا في ألفاظ قليلة جدا . مما يؤكد نسبة الكتابين لمؤلف واحد ، فإذا كان الأبكار ؛ لتعدد نسخه بين أيدينا ولشهرته ولما نقلته المصادر المختلفة عنه ، لا يشك في نسبته إلى الآمدى فإن ذلك ينسحب على غاية المرام أيضاً ، ومن الواضح أن هذا المثال يبين في الوقت نفسه طبيعة العلاقة بين الكتابين ، ويؤكد ما قاله المؤلف عن غاية المرام : « وأودعته أبكار الأفكار » .

٢ - ومنها الموضع الذي سقطت منه الورقة المفقودة من غاية المرام (وتضم اللوحة ١٢٧ ، ب) فإذا رجعنا إلى ما يقابلها من الأبكار (وهي اللوحة ١٦٢/١ ، ب) لاحظنا وحدة السياق والترتيب بين الكتابين قبل الجزء الساقط وبعده ؛ إذ أن الرجل يناقش في غاية المرام « اعتراضا للخصوم حول « الإرادة الإلهية » ينقسم إلى قسمين يذكرهما ولكن الورقة الساقطة ضاعت بما تحويه من مناقشة للقسم الأول ، ويلي ذلك مباشرة عرض القسم الثاني والرد عليه ، فإذا انتقلنا إلى « الأبكار » وجدناه يذكر نفس الاعتراض بشقيه مراعيًا نفس الترتيب بل مع الاتفاق في أكثر العبارات والجملة . وهذا - مع اطمئناننا للعلاقة بين الكتابين بصفة عامة - هو الذي سوغ لنا تلخيص الأفكار الرئيسية التي أوردتها المؤلف في مناقشة الشق الأول عن « أبكار الأفكار » ، ليحصل سياق الكتاب ، حتى يتيسر لنا العثور على نسخة منه كاملة ، ولسكنا احتراماً للنص وضعنا ذلك التلخيص بالهامش (٢) .

٣ - ومثال آخر يقطع بما ذكرناه عن العلاقة بين الكتابين وهو أن النصوص التي ترد في الكتابين تأتي على نسق واحد غالباً ، بل إنه ليتكرر فيها نفس الخطأ في بعض الأحيان ؛ فمن ذلك إيراد « أبكار الأفكار » للآية الكريمة من سورة النحل (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) على هذا النحو الخاطئ ؛ (إنما أمرنا لشيء . . الخ) وترد الآية على هذا النحو الخاطئ أيضاً في « غاية المرام » (٣) ويبدو أنها التبتت عليه بالآية الكريمة من سورة يس : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ، والمهم هنا دلالة ذلك على نسبة الكتابين لمؤلف واحد ينقل

(١) انظر ض ٥ من كتابنا هذا .

(٢) انظر ص ٦١ ، ٦٢ من كتابنا هذا .

(٣) انظر ص ١١٠ من هذا الكتاب .

ما أثبتته من نصوص في أحد كتابيه - وهو هنا الأبيكار في الأرجح - إلى الآخر دون أن يفتن إلى ما وقع فيه من لبس .

من خصائص غاية المرام :

١ - ولكن غاية المرام ليس مجرد اختصار موجز للأبيكار ، وإن كانت هذه إحدى سماته أو أبرزها كما نبه المؤلف على ذلك في مقدمته : « وأودعته أبيكار الأفكار . . على وجه لا يخرجها زيادة التطويل إلى الملل ولا فرط الاختصار إلى النقص والخلل ، تسهيلا على طالبيه وتيسيرا على راغبيه » .

٢ - فإن الكتاب إلى هذا يحوى آراء لا نكاد نجدها في مؤلفاته الأخرى كما سبق الإلماع إليه في مسألة قدم العالم أو حدوثه ، ومنها نقده التفصيلي للأدلة الكلامية المشهورة على الحدوث كدليلي الجوهر الفرد ، والممكن والواجب ، وقد كان في الأبيكار يتبنى دليل الجوهر الفرد ويدافع عنه كما نقل ابن تيممة ذلك عنه في كتابه « الموافقة » (١) ، مما دعانا إلى ترجيح أن ابن تيممة لم يطلع على غاية المرام كله ، وإلا لما نسب إلى الآمدي الاستدال بالجوهر الفرد ، دون أن ينبه على عدوله عن ذلك كما فعل في مواطن أخرى (٢) ، ومما يدلنا على أن الآمدي إنما ألفه بعد نضجه الكامل ومراجعته الدقيقة لمسائل علم الكلام ما يقول عن نفسه : « فلم تبق غمة إلا ورفعتها ولا ظلمة إلا وقشعتها ، حتى تمهد سراحه واتسع براحه (٣) . » مما دعاه إلى « تأليف هذا الكتاب .. منبها على مواضع مواقع زلل المحققين ، رافعا بأطراف أستار عورات المبطلين » (٤) .

٣ - ومما يؤكد ذلك أن الآمدي في كتابه غاية المرام يختلف بوضوح من الناحية المنهجية عما كان عليه في كتابه أبيكار الأفكار ، فبينما كان يقبل في هذا الأخير الاستدال بالدليل السمعي في المسائل الكلامية التي لا تتوقف عليها صحة النبوة سواء كانت من الإلهيات أو غيرها كالتنبؤات والسمعيات إذا بنا نجده في غاية المرام لا يقبل الدليل السمعي إلا في المسائل السمعية المتعلقة بالبعث وما يتصل به ، أما المسائل الإلهية فإنه يتمسك فيها بالدليل العقلي وحده ولو لم تتوقف عليها صحة النبوة وذلك كاثبات الوجدانية وإمكان رؤية الله تعالى ، متأثرا في هذا ببعض شيوخ المعتزلة والمتأخرين من أصحابه الأشاعرة ، وقد نهت على ذلك في مواضعه من غاية المرام (٥) .

٤ - ومما يبدو لقارئ هذا الكتاب أيضا حرص مؤلفه - إلى حد الإسراف أحيانا - على

(١) انظر المرافقة لابن تيمية ٢/٢٣١ ، والمطلب الثاني من القانون الخامس من كتابنا هذا .

(٢) انظر غاية المرام - تحقيق ودراسة بمكتبة كلية دار العلوم ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٣٢٣ وما بعدها .

(٣) غاية المرام ل ٢ ب .

(٤) غاية المرام ل ١٣ .

(٥) يحسن مراجعة هذه المسألة في غاية المرام - تحقيق ودراسة - الفصل الرابع من الباب الأول .

استخدام الأساليب والقواعد المنطقية ، كما نهت عليه في تعليقاتي (انظر ص ٥٣) وقد تابع الآمدى الرازى والغزالي في خلطهما الكلام بالمنطق ، وهى محاولة - فيما يبدو - راجعة إلى تاريخ أسبق من ذلك بكثير ، كما أشرت إليه في غير هذا المقام (١) .

٥ - وبالرغم من ذلك فإن الآمدى يناقش الفلاسفة بدقة ووضوح في كل ما يراه معارضا لحقائق الدين ، أو غير معارض ولسكنه فرض تخميني لم يقيموا عليه دليلا من العقل يوجب قبوله ، ولئن كان الأبيكار يتفق معه في هذه الصفة إلا أنه هنا يحرص على المقابلة بين وجهتي النظر الفلسفية والإسلامية قائلا مثلا : « هذا على رأى الفيلسوف . . اما على رأى الإسلامى » أو هذا على القانون الفلسفى ، أما على القانون الإسلامى (٢) ونحو ذلك من العبارات التى تدل على وعيه التام لخطر التورط فى الميتافيزيقا اليونانية وغيرها رغم أخذه بالمنطق الأرسطى . وإن كان هذا لم يمنعه من أخذ بعض الأفكار الجزئية المقنعة من ناحية العقل الغير المتعارضة مع الشرع كما لا حظناه فى تفسيره لوجود الشر فى العالم مثلا (٣) :

هذه ملامح عامة . أما عرض المباحث التى يتضمنها الكتاب فلا نود أن نثقل به هذه المقدمة ، كما أنا نؤثر أن نترك الآمدى يتحدث بنفسه عن أفكاره ، على أن العرض السريع كثيرا ما يخل بالأفكار فى دقتها وتكاملها ، وربما استغنى عنه القارئ بفهرس تفصيلى لمحتويات الكتاب ، ومن ناحية أخرى فإننا قد قمنا بمحاولة لعرض أفكار الآمدى وبحوثه الكلامية اعتمادا على « غاية المرام » وغيره من مؤلفاته فى الدراسة التى أشرنا إليها ، ونأمل أن تصل إلى أيدي القراء فى القريب إن شاء الله ؛ لتتضح صورة الآمدى المتكلم ومكانته بين المفكرين المسلمين .

(٢) انظر ص ٩ ، ٨٨ من هذا الكتاب .

(١) انظر المرجع السابق ص ١٣٣ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٦٥ من هذا الكتاب .

ثالثا - وصف الأصل ، وبيان المنهج الذى اتبع فى تحقيقه

والآن يجدر بى أن أقوم بوصف المخطوطة الوحيدة ، أو المصورة ، التى اتخذتها أصلا اعتمدت عليه فى تحقيق الكتاب ؛ لتعذر الاهتداء إلى نسخ أخرى له بعد الرجوع إلى الفهارس والمصادر المختلفة المتاحة هنا فى مصر عن المخطوطات وأما كن وجودها ، والاستعانة ببعض الخبراء فى هذا الشأن . ثم بيان الطريقة التى اتبعتها فى هذا التحقيق :

(أ) وصف النسخة الأصلية

توجد هذه النسخة بمعهد المخطوطات - بجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ١٧٤ علم التوحيد ، وهى مصورة عن نسخة خطية موجودة فى مكتبة « شهيد على » باستانبول تحت رقم ١٩٦٤ . وتذكر بيانات المعهد أنها كتبت بخط « تعليق » خال من الإعجام أحيانا ، وأنها تقع فى ١٥١ ورقة ، حجم كل منها ١٠ × ١٥ سم تم تورد قطعة من مقدمة الكتاب .

وقد أمكن طبع صورة من النسخة المحفوظة بالمعهد المذكور لحساب مكتبة كلية دار العلوم وهى الصورة التى اتخذتها أساسا لعملى فى التحقيق ، وهذا وصفها :

تبلغ عدد لوحاتها ١٤٦ لوحة تحتوى كل منها على صفحتين « ا » ، « ب » وفى كل صفحة ١٩ سطرا إلا قليلا من الصفحات فتحتوى على ١٨ سطرا فقط مثل ١٢٠ ب ، ١٢١ ، ١٤٦ ب .

وفى اللوحة الأولى يوجد اسم الكتاب ثم اسم المؤلف تتبعه صيغة من الدعاء تدل على أنه مازال على قيد الحياة عند كتابتها : « ثبت الله سعاده ، وصان عن الغير مهجته » إلى ذلك قائمة أو فهرس لموضوعات الكتاب مصحوبة أحيانا بأرقام الصفحات ، غير أن هذه الأرقام لا تنطبق تماما على الترقيم الموجود فى داخل الكتاب ، ويلاحظ أيضا على هذا الفهرس إهماله القانونيين الأخيرين الخاصين بالنبوات والإمامة ، كما أن بياناته عن محتويات كل قانون غير دقيقة كما فى القانونين الثانى والخامس ، ويوجد فى نفس اللوحة كلمات تعذرت قراءتها لانحائها وقد سجلت فى هامش ص ١ من هذا الكتاب ما تبين لى منها ، كما يوجد أيضا خاتم الوقف على مدرسة الشهيد على باشا رحمه الله ، وبجواره رقم الكتاب بها (١٦٩٤) .

وفى اللوحة الثانية ١، ب واللوحة رقم ١٣ توجد «خطبة المؤلف» أو مقدمة الكتاب حيث يشير إلى ظروف تأليفه وتسميته وأهميته وكونه متضمنا «لأبكار الأفكار» مع مراعاة الإيجار غير المحل، وأنه قسمه إلى ثمانية قوانين ضمها «عمدة مسائل قواعد الدين» .

ثم تتابع «قوانين» الكتاب أو أبوابه بعد ذلك حتى لوحة ١٤٦ ب حيث توجد خاتمة الكتاب التي ينبه فيها ثانية على أهميته الخاصة ؛ إذ فيه «غنية للمبتدئين وشفاء للمنتهين» ، ثم يدعو بدعاء رقيق فيه ألفاظ من فاتحة كتاب «الإرشاد» لإمام الحرمين الجويني ، يلي ذلك دعاء من الناسخ وبيانات عن النسخ تدل على أنه تم نسخه في المدرسة العادلية بالاسكندرية في الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وستائة للهجرة ، أى قبل وفاة المؤلف بنحو ثلاثين عاما ، الأمر الذي يزيد من قيمة هذه النسخة (١) ولكن الذي يؤسف له أن الناسخ لم يكتب اسمه ولم نعرف عنه شيئا .

أما اللوحة الأخيرة من هذه النسخة ففيها بضعة أسطر يبدو أنها لعدة أبيات من الشعر تصعب قراءتها وقد سجلت ما تبين لى من كلماتها في هامش الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب . كما يوجد على نفس اللوحة خاتم الوقف على «مدرسة الشهيد على باشا رحمه الله» الذي أمر ألا يخرج الكتاب من خزائنه ؛

وقد كتبت النسخة بخط «التعليق» كما تقول بطاقة معهد المخطوطات ، وهو خط يبدو وسطا بين خط النسخ والخط المعروف «بالفارسي» يعتمد الكاتب فيه إلى وصل أجزاء الكلمة الواحدة حتى لو تخللتها ألفات مثلا ، بل ربما وصل بين الكلمات المتجاورة ، كما يهمل الإعجام في أكثر الأحيان ، ويسهل الهمز دائما فيحذفها في آخر الكلمة ويقبلها في وسطها واوا أو ألفا أو ياء ولم يحقق الهمز - في غير أوائل الكلمات - إلا في مواضع قليلة جدا ، كما في لوحة ١٤٦ ب مثلا .

وتدل هوامش النسخة على أنها روجعت وصححت بعد نسخها ، ويضيف المصحح بالهامش بعض الكلمات التي سقطت من المتن مع علامة التصحيح كما في لوحة ٢ ب ، ١٣٩ ، ١٠٠ ب

(١) وإن كان من الممكن أن يقرأ تاريخ النسخ على هذا النحو : سنة ثلاثين وستائة ، كما أشرت في هامش ص ٣٧٢ وهذا يعنى ما أسلفته عن العلاقة بين الكتابين وكلا التاريخين سابق على وفاة الأمدى .

و ١١٦ ب مثلاً ، وقد يغير ما فى الأصل ويضرب عليه بخط أو بحرف الزيادة « ز » ويذكر الصواب فى الهامش كما فى اللوحات ١٠٥ ب ، ١٠٩ ب ، ١٢٢ ب .

غير أنى لاحظت سقوط لوحة كاملة من هذه النسخة ، وأصلها المحفوظ فى معهد المخطوطات وهى اللوحة رقم ٢٧ أ ، ب ، ولا أدرى إذا كانت موجودة بالأصل الخطى المحفوظ فى « شهيد على » أم لا ، وقد حاولت التغلب على هذه الصعوبة بتلخيص الفكرة التى رجحت أنها بهذه اللوحة المفقودة عن كتاب « الأبكار » لما تأكد لدى من قوة العلاقة بين الكتابين وتشابههما فى الفكرة بل فى العبارات إلى حد كبير ، كما أشرت فى تعليقاتى على عدة مواضع من « غاية المرام » ، وقد أسعفت وحدة السياق وتقارب العبارات فى هذا الموضوع بصفة خاصة على هذا التلخيص كما يتبين فى ص ٦١ ، ٦٢ من كتابنا هذا .

وفى موضع لاحق لذلك نلاحظ ما قد يؤهم سقوط لوحات أخرى من الأصل نظراً لاضطراب الترقيم بعد لوحة ٥٠ ب ، غير أن سياق الكلام فيها ومقارنته بالأبكار تدل على عدم سقوط شئ من هذه المواضع انظر ص ٩٢ ، ٩٤ ، من هذا الكتاب .

وقد لاحظت أحياناً سقوط بعض الكلمات أو الجمل ، وهى ضرورية لصحة الكلام فزدتها بين القوسين علامة الزيادة ونهت على ذلك بالهامش دائماً ، وأكبر سقط من هذا النوع ما يبلغ سطراً كاملاً كما فى ص ١٢٥ من كتابنا هذا المقابلة للوحة ٥٥ أ من الأصل غير أنى كنت أعتمد فى الزيادة غالباً على « الأبكار » وكتب المؤلف الأخرى ، أو الكتب التى يناقشها أو ينقل عنها أو تتصل بموضوع بحثه ، وقلمنا اعتمدت على ما يهذى لآيه فهم النص فقط .

(ب) طريقة التحقيق :

بدأت بقراءة الأصل ونسخه فى صبر وأناة ، وقد استغرق ذلك وقتاً ليس بالقصير نظراً لصعوبة الخط ورداعته ، مراعيًا فى « عملية النقل » ما يلى :

(أ) أن أنص على بداية كل لوحة من الأصل ورقها مع الرمز لصفحتها الأولى بالحرف الأولى والثانية بالحرف ب .

(ب) أن ألزم قواعد « الإملاء » المعاصرة بصرف النظر عما فى الأصل مشيراً إلى التفاوت أحياناً :

(ج) أن أضع الزيادات بين حاصرتين مع النص بالهامش على زيادتها ، وكذا الكلمات الغامضة بالأصل والتى أثبتتها اجتهداً .

(د) ألا أنصرف في الأصل بأية إضافات أو تغييرات غير ضرورية ؛ ولذا فقد التزمت تقسيم المؤلف لكتابه والعناوين التي وضعها لتلك الأقسام ، ولم أضف أية عناوين من عندي ، إلا إذا كان المؤلف قد وعد بها أو اقتضاها تقسيمه هو لمحتويات « القوانين » ؛ كما في ص ٢٧ من كتابنا هذا المقابلة للوحة ١٠ أ من الأصل وكما في الصفحة المقابلة للوحة ١٠٠ ب من الأصل وكما في الصفحة المقابلة للوحة ١٠٦ من الأصل ، أو استلزمها طريقة لإخراج الكتاب وطبعه ، وقد جعلتها بين حاصرتين علامة الزيادة .

(هـ) أن أصحح الأخطاء النحوية الكثيرة في الأصل مع عدم الإشارة إليها اللهم إلا نماذج قليلة في أوائل الكتاب .

(و) ألا أثبت في الصلب إلا الصحيح ، وأن أسجل ما يبدو لي من الأصل مخالفا للصواب بالهامش .

(ز) أن أهتم بعلامات الترقيم وتقسيم الفقرات حتى يعين ذلك القارئ على فهم مراد المؤلف : هذا من ناحية « النقل » أما من ناحية توثيق النص والتعليق عليه ، فقد اتبعت الأسس الآتية :

(أ) المقارنة التفصيلية الدائسة بين « أبكار الأفكار » و « غاية المرام » مع الإشارة إلى ما قد يكون من فرق أحيانا ، والاستعانة في ذلك أيضا بمؤلفات الآمدى الأخرى ، وقد دعاني إلى ذلك سبب منهجي عام من حيث إن فكر كل مفكر يمثل وحدة واحدة رغم ما قد تضمه في إطارها من تطور ، وسبب خاص وهو أن الأصل الذي أعتمده نسخة وحيدة ، ففي تردد الأفكار التي يحويها في أكثر من كتاب لنفس المؤلف زيادة طمأنينة لمدى صحة النص ووثاقته .

(ب) العناية بتخريج النصوص المختلفة التي يضمها الكتاب : فمن ذلك « الآيات القرآنية » وقد حرصت على أن أنص دائما على اسم السورة ورقم الآية فيها ، مع إثبات نصها طبقاً لما في المصحف الشريف نظراً لما في الأصل من أخطاء في نصوص الآيات في بعض الأحيان . وقد نهيت على ذلك في مواضعه .

ومنها الأحاديث النبوية التي يرويها المؤلف بالمعنى غالباً دون أن يذكر راويها أو مرجعاً ، وقد عانيت بتخريجها بقدر ما تيسر لي من كتب السنة :
ومنها الحكم وأقوال السلف التي استشهد بها المؤلف في بعض المواضع وقد نسبتها إلى أصحابها مستعيناً بالمراجع المناسبة .

ومنها أبيات الشعر التي استشهد بها المؤلف في بعض المسائل ، وقد استعنت في ذلك بدواوين الشعراء وبعض المختصين ، ومع هذا فقد استعصى على نسبة بعض هذه الأبيات إلى قائلها :

(ج) الاهتمام « بالأمثلة » التي تساق تطبيقاً لحجة أو تمثيلاً لقاعدة أو تقريباً لفكرة ؛ كمثال « الدراهم » مثلاً في إبطال التسلسل ص ١٣ لوحة ه ب ومثال « المرأة » في إثبات جواز الرؤية ص ١٦٨ لوحة ٦٧ ب ونحوهما ، وبيان من استخدمها قبل المؤلف ، وفي رأي أن هذا لون من الدراسة يمكن أن يعطينا شواهد موضوعية على مظاهر التأثير والتأثير بين المفكرين من متكلمين وغيرهم .

(د) الإحالة إلى المراجع المختلفة التي تدرس نفس المسألة سواء من مؤلفات الآمدي نفسه أو من مصنفات الرجال الذين يناقش أفكارهم أو غير ذلك ، مع العناية غالباً بإبراز وجهات نظر متباعدة حول الموضوع الواحد تأييداً ونقداً ومن مدارس مختلفة : كلامية وفلسفية وسلفية وصوفية :

(هـ) وما التزمت به أيضاً أن أعين أولئك الجاهولين الذين يعينهم المؤلف بمثل قوله : قال بعض الأصحاب ، أو بعض الخصوم ، أو قيل ، أو نحو ذلك : ولم أهل من ذلك إلا القليل جداً الذي استعصى على بيانه : وفي هذا الصدد أذكر أن نحواً من سبعين في المائة من قول المؤلف « بعض الأصحاب » يقصد به أبا الفتح الشهرستاني — المفكر الأشعري المتوفى سنة ٥٤٨ هـ — وقد نصصت على ذلك تفصيلاً لا رغبة في التكرار ولكن لأبين موضع النص الذي يشير إليه الآمدي من كتب الشهرستاني :

(و) أن أهتم بتبين مصادر الآراء ومنابعها ؛ فلا أنسب الرأي إلى أحد قائله ؛ بل أتتبع مصادره محاولاً التعرف على أسبق القائلين به جهد الطاقة :

(ز) أن أقارن دائماً ما يقوله المؤلف عن المعتزلة بما يقوله المعتزلة أنفسهم ، حتى أتخلص من العيب الذي سيطر حيناً على الدراسات الكلامية بأخذ أفكار القوم من أقوال خصومهم وناقديهم ، وقد اعتمدت في ذلك بجهد وصبر على موسوعة القاضي عبد الجبار بن أحمد الحافلة « المغنى في أبواب التوحيد والعدل » وكتابة الآخر « شرح الأصول الخمسة » مع « الانتصار » لأبي الحسين الخياط و « المعتمد » لأبي الحسين البصري :

(ح) أن أعرف في إيجاز بالأعلام التي وردت — نادراً — في الكتاب مع الإحالة على مصادر تراجمهم في كتب الرجال والطبقات :

(ط) أن ألحق بالكتاب فهارس تفصيلية تعين القارئ والباحث على الافادة من محتوياته .

وبعد : فإن مهمة التحقيق ليست سهلة ، وقد حاولت جهدى أن أنجزها على نحو علمى جاد يليق بدراسة جامعية ، وإنى لمن أسعد الناس أن يخرج إلى النور هذا النص الهام لمفكر جليل كالآمدى ؛ لما سيلقيه من ضوء جديد على الفكر الفلسفى الإسلامى بعامة ، وتطور علم الكلام بصفة خاصة .

(والحمد لله أولا وآخرا)

حسن محمود عبد اللطيف

[illegible][illegible]

3